

تاريخ القبول: 2019/06/07

تاريخ الإرسال: 2019/05/29

فكرة المنطقة الجنوبية الصحراوية في الثورة الجزائرية
بين فرانتز فانون وهواري بومدين

**The idea of the southern desert region of the
Algerian revolution
between Franz Fanon and Houari Boumedienne**

د. محمد مبارك كديده

m.mebarektam@yahoo.fr

المركز الجامعي لتامنغست - معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

مَلِكُ حَسْبِ الْمَلِكِ

تتناول هذه الورقة العلمية قضية جذور فكرة إنشاء المنطقة الجنوبية الصحراوية المصطلح تسميتها بالجبهة الجنوبية و محاولة الإجابة على التساؤل الذي طرح كثيرا بين الباحثين في مختلف اللقاءات العلمية و الأبحاث حول من صاحب الفكرة ما بين فانون وهواري بومدين بناء على موقع و جهود كل منهما في لثورة التحريرية الجزائرية متتبعا الآراء والأدلة من المصادر و تسليط الضوء على جزئية مهمة من تاريخ الثورة الجزائرية قليلة هي الأبحاث التي تعالجها.

الكلمات المفتاحية: الجبهة الجنوبية - الثورة الجزائرية - المنطقة الجنوبية الصحراوية - هواري بومدين - فرانتز فانون.

Abstract:

This research is concerned with the root cause of the idea of establishing the southern desert region, which is called the Southern Front. This is an attempt to answer the question that was raised among the researchers following the opinions and evidence from the sources and shedding light on an important part of the history of the Algerian revolution.

Key words: Southern Front - Algerian Revolution - Southern Desert Region - Houari Boumedienne - Frantz Fanon

مقدمة:

كثيرة هي مواضيع الثورة الجزائرية التي مازالت تسيل الحبر و تتجاذبها أقلام وأفكار الباحثين بين الأدلة و الوثائق مسخرين لذلك جهودهم في التفكير و التحليل و هي ظاهرة إيجابية و ان كان البعض يعتقد غير ذلك فمن إيجابياتها أنها تعرف بالخصيات و دورها فضلا عن قيمة و أهمية الحدث المتناول بعيدا عن الذاتية و عدم الوضوح في الاستناد على أدلة موضوعية أو الرغبة في المبالغة في إبراز دور شخصية على أخرى أو إقصاءها أو نسب الفضل إلى غيرها، فمن بين المواضيع التي مازالت ميدانا خصبا للبحث و الدراسة ما يسمى بالجبهة الجنوبية في الثورة الجزائرية و التي يحب البعض أن يطلق عليه تسمية جبهة المالي نسبة إلى الحدود المالية الجزائرية التي انطلقت منها فإن كان الأول مقبولا من ناحية الإسقاط الجغرافي للجزائر شرقا أو غربا أو شمالا أو جنوبا فإن الثاني أي الشهرة من الحدود المالية مجانية للصواب ذلك أنه لو عممنا هذه القاعدة لأسمينا على سبيل المثال لا الحصر القاعدة الشرقية بجبهة تونس و مجانية الصواب هي في ضبط المصطلح لا في المعنى ذلك أننا بحاجة إلى ضبط أكبر للمصطلحات في الثورة الجزائرية خاصة و إن كانت تسمياتها موجودة في الوثائق فالأولى أن ننشر ما هو موجود في الوثائق لا ما ينشر و يعمم انطلاقا من خلفيات أخرى سنعود إلى هذا في النقاش في هذه الورقة العلمية ، و ما نود التركيز عليه هو الأسئلة التي طرحت كثيرا في المنتديات العلمية و الأيام الدراسية و الملتقيات حول من صاحب فكرة انشاء الجبهة الجنوبية؟ هل هو بومدين أم هو فرانتز فانون؟ ، ثم ما هي أدلة الداعمين لرأي أن فانون صاحب الفكرة ؟ ، و ما أدلة القائلين برأي أن بومدين صاحب الفكرة؟ ، و هل يمكن أن نتبنى فكرة أحد الرأيين مع علمنا بأنه من بين أبرز مميزات الثورات الجزائرية أو من بين ما تميزت به هو مبدأ القيادة الجماعية أم إنه لا يوجد إسقاط مع هذه القضية؟ .

1- المنطقة الجنوبية الصحراوية و قضية المصطلحات:

يصر البعض على إطلاق تسمية جبهة المالي على المشروع الذي أطلقته الثورة الجزائرية إنطلاقاً من حدودها الجنوبية و بما أن الظروف الأكثر ملائمة لتجسيد المشروع كانت من الدولة المالية التي كانت ظروفها السياسية و العسكرية أحسن نوعاً ما من النيجر بالرغم من أن المشروع ينطلق من كل الدول المجاورة للجزائر من الجهة الجنوبية¹ ، و بحكم علاقات فانون بعدد من قادة الدول الإفريقية من أبرزهم الرئيس المالي "مويبو كيتا" الذي أسهم بما قدمه من ضمانات لتجسيد المشروع ميدانياً و هو ما أكده فانون حين وقف على ذلك ميدانياً² ، و حين تتبعا الموضوع الذي لا يعد هذا هو البحث الوحيد لنا فيه اتضح لنا رأيان أو فريقان الأول إضطلاع بهذه المعلومة دور مالي في إنجاح تجسيد المشروع ميدانياً فسموه نسبة لها و الثاني رأي اتخذ من الرأي الأول هو الحجة و اتبعه في الرأي من غير تمحيص و لا محاولة للتدقيق ذلك أننا حين سألناهم ما وجدنا إجابات مقنعة بل في أحيان كثير ما وجدناها أصلاً.

و بالنسبة للجبهة الجنوبية فالمصطلح فهو مصطلح آخر شائع و لكنه مقبول من الناحية المنهجية لإسقاط المصطلح على التقسيم الجغرافي للجزائر و لهذا فإن الذين اتخذوا من هذا إسقاط للاستدلال و هو مبرر كذلك و من المصطلحات التي بدأ يتوسع استعماله بعد اتضاح معالم المشروع و الموضوع الذي جاء لتدعيم و تدارك الصعوبات التي واجهتها كل من الولايتين السادسة و الخامسة في مناطق أقصى الجنوب³ ، و لكن الصواب عادة في المواضيع التاريخية هو استعمال المصطلحات الواردة في الوثائق و عذر الآراء السابقة موضوعي و منطقي ففي السنوات السابقة لم يكن هناك وثائق متعلقة به اطلع عليها الباحثون لأن وثائقها مازالت بعيدة عن متناولهم في أرواشيف هيئة الأركان غير المتاح أمام الباحثين ، إلا أننا تمكنا من الإطلاع على الموجود منها لدى بعض قادتها في الميدان في مناطق أقصى الجنوب الجزائري في شكل بعض المراسلات و الأوامر الموجهة في منطقة الهقار تمكنا من خلالها معرفة التسمية الصحيحة و التي هي " المنطقة الجنوبية الصحراوية فمن باب

أولى أن نصحح و ندرج التسمية الواردة في الوثائق⁴ عن مشروع دار الحديث طويلا عن من صاحب الفكرة و من صاحب المشروع و المستمع للنقاش الذي دار في هذا الأمر فهل يقنع أي من الرأيين و الأدلة المقدمة بالرغم من أننا لا نتبنى مبدأ المفاضلة و الأسبقية الذي قال عنه الابراهيمي أن من الأمور التي أفسدت الكتابة في تاريخ الثورة⁵.

2- شخصية فرانتز فانون من النشأة إلى النضال في الثورة الجزائرية:

ولد فرانتز فانون في مدينة فور دو فرانس بجزر المارتنيك بتاريخ 20 جويلية 1925م⁶ و ترعرع في جو مليء بالتناقضات التي تحللت و تغيرت أما عينه و ساعدت الظروف الميسورة لعائلته برغم من أصولها الافريقية على تعليمه و تدريسه حيث تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، و مع احتدام نيران الحرب العالمية الثانية التحق فانون بصفوف جيش فرنسا الحرة و قاتل في صفوفه، نال شهادة البكالوريا و جاز حصوله على وسام جازء اصابته و مشاركته في تحرير فرنسا نال منحة لدراسة الطب في فرنسا ، و توجه إلى ليون أين كان يتابع دراسته في الطب و نظرا لولعه الشديد الأفكار الفلسفية التي تجلب انتباهه فراح ينهم من كتب كيركجارد و هيجل و ماركس و لينين و هيدجر و سارتر ، و إلى جانب دراسته الطب كان يتابع دراسة الفلسفة ما جعل فانون يراكم و يطور فكره دون أن ننسى مجموعة التناقضات التي لاحظها بين المثل و شعارات فرنسا الحضارة ، خاصة أنه بات أكثر احتكاكا بهذا الوسط فقد كان شاهدا على ردة الفعل الفرنسية اتجاه الجزائريين و ما حصل من مجازر في الثامن من ماي 1945م⁷.

و لربما لاحظ الفرق بين الأفكار المجردة و الادعاءات المنمقة في بعض المنابر و بين ممارسات الواقع و لربما من قبيل المثل لا التعميم هذه التناقضات هي التي ستكون تراكمات جد صلبة عند فانون تجعله يتحول عن إيمانه بكل ما هو ادعاء فرنسي ، و لأن فانون عمل على نشر و تجسيد أفكاره و هو ما لم يعجب بع من ناهوه أو من حاولوا تفسير فكر الرجل العميق بسطحية أو حاولوا التقليل من شأنه و هو ما سنعود للحديث عنه عندما نتحدث عن أفكاره ، وبعد احتكاكه بمجموعات

الأوساط الثقافية الفرنسية راح يبحث عن متنفس و حل للوضع المتناقضة بين الواقع و بين المثل و خاصة أنه أدرك أن الافريقي المستعمر (بفتح الميم) لا يملك أدنى الحقوق و تمارس عليه كل الممارسات التي تنتافي و الادعاءات و المثل الفرنسية التي كانت تروج أو تدرس فراح الرجل يبحث عن حل و عن الرحيل إلى افريقيا الموطن الأصل ، و هو ما عرضه على سانغور⁸.

ليعود بعدها فانون إلى المارتنيك في زيارة لمسقط رأسه و لكنه عاد بعدها إلى فرنسا ليشغل في عيادة الدكتور توكسفييل مما سمح له بتطوير قدراته و اكتسابه مهارة العلاج الاجتماعي ، تزوج فانون من فرنسية و لكن رغبته في الالتحاق بالقارة الافريقية مازلت مسعاه فطلب من الدكتور توكسفييل تعيينه في احدى مستشفيات افريقيا لكن الرد كان بنفس الطريقة إذ لم يرد توكسفييل على طلب فانون⁹ و الملاحظ أن الكتب التي تتحدث عن هذا الأمر تذكر السكوت عن طلب فانون أو عدم الاجابة عنه و لا تذكر أن الأمر يرفض أو يتم مناقشته مما قد يوحي أن هؤلاء لم يكونوا يرغبون في التحاق فانون بإفريقيا.

لتتحقق رغبة فانون سنة 1953م حين قبل عرضا من الولاية العامة في الجزائر للالتحاق بمستشفى البليدة للأمراض العقلية و الذي كان المستشفى الأول من نوعه في افريقيا و الذي يحمل اسمه اليوم ، و ما كانت الولاية العامة تعلم أنها منحت فانون فرصة أخرى لتعميق أفكاره و تأكيد وجهة نظره إزاء تعامل فرنسا الاحتلال مع المجتمعات المستعمرة (بفتح الميم) ، أين كان فانون على قسم يضم مائة و خمس و ستين (165) أوريبا و مائتين (200) من الجزائريين المرضى حاول أن يجرب عليهم الأسلوب العلاجي الذي تعلمه عند توكسفييل لكن النتيجة كانت عدم تناسب هذه الطريقة لاختلاف البيئة الاجتماعية للجزائريين و السبب كان الوضعية السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي أوجدها الاحتلال الفرنسي، ليقنع فانون بعد مدة من الملاحظات و التدقيق في حالات المرضى الجزائريين أن الأسلوب الأنسب هو القطيعة مع هذا الاحتلال¹⁰.

لينضم قانون سنة 1957م للثورة الجزائرية و بالرغم من أن الرجل الذي داهمه المرض في ريعان شبابه حيث توفي سنة 1961م إلا أن فترة الخمس سنوات التي عملها في اطار الثورة الجزائرية كانت فترة نشاط مكثف للرجل الذي استفادت منه الثورة الجزائرية حيث عمل طبيبا و محررا في جريدتي المقاومة و المجاهد لسان حل جبهة التحرير الوطني الجزائري و ممثلا دبلوماسيا للثورة الجزائرية في عدد من المحافل الافريقية¹¹ و بعد معاناة طويلة مع المرض ، و بعد رحلة علاجية حاولت فيها الثورة الجزائرية علاجه في الولايات المتحدة الأمريكية توفي الرجل مكافحا للاحتلال الفرنسي في واحدة من أبرز حركات التحرر في افريقيا ، و قد أوصى بأن يدفن في الجزائر أو ينقل إليها جثمانه بعد أن تسترجع الجزائر سيادتها ، و قد حقق الثوار الجزائريون لرفيقهم رغبته و نفذوا وصيته فبرغم الخطوط الشائكة المكهربة و حقول الألغام و كثافة قوات الاحتلال الفرنسي نقل المجاهدون جثمانه في سرية تامة إلى شمال الولاية الثانية ليدفن بولاية الطارف¹² مات الرجل مناهضا لفكر دول الاحتلال قال الميلي: «...في ذات يوم من ربيع 1957 في مكان ما من باريس كان قانون ينتظر تسهيل مروره ليلتحق نهائيا بالثورة الجزائرية و كان ذلك آخر عهده بفرنسا و بيسارها لقد كان مسافرا دون عودة...»¹³.

أما فكر قانون الذي درسه الكثيرون حسب الزوايا التي يرونها¹⁴ و حسب التخصصات إلا أننا نعتقد أن هذا الرجل مزال بحاجة إلى مزيد دراسة من زوايا أخرى لأن الرجل كان مفكرا و لكل مفكر منشأ و مشارب تكوين و تأثيرات أثرت عليه و لكن لا يجب المبالغة في نسب كل فكره إليها ، و يمكن استخلاص بعضها من ما أنتجه هذا المفكر بالرغم من كونه مات شابا و لكن لإنتاجه كان وفيرا مقارنة بالسنوات التي عاشها ، فقد حملت كتب قانون و كتاباته تراكماته الفكرية التي ترجمت إلى عدة لغات من أشهرها بشرة سوداء و أفتحة بيضاء، معذبوا الارض العام الخامس للثورة الجزائرية ، كتابات عن الاغتراب و الحرية ، إنهاء الاستعمار للجنون ، الكتابات النفسية لفانون ، دراسات في استعمار ميت ، من أجل افريقيا و غيرها من الكتب و المقالات ، و كتب الرجل في جريدة المجاهد لسان

حال جبهة التحرير عدة أعمال فقد عمل فيها بجد يقول المبلي الذي عمل معه فيها :«... عندما تفرغ فانون تفرغا كليا للعمل في صحافة الثورة - و هي الأشهر التي قضاها في تيطوان ضمن هيئة تحرير المجاهد بعيدا عن كل اتصال مع الخارج أو مع المهنة ، و بعيدا عن أسرته التي بقيت في تونس كانت معظم أوقات فانون موزعة بين القراءة و الكتابة و بالرغم من أن هذا التفرغ الكامل كان يسمح بأخذ نصيب وافر من الراحة كان يرف ذلك ... و في أغلب الأيام كانت هيئة التحرير تجتمع بعد الظهر لدراسة بعض النصوص الثورية ... و مع عودة المجاهد إلى تونس (أكتوبر 1957) عاد فانون إلى التوزع بين عمله في صحافة الثورة و مهنته في مستشفيات تونس و قد أمده مهنته بملاحظات مهمة استخلصها من تتبعه لحالات المجاهدين الجزائريين الذين كانوا يحاولون بعد اصابتهم على المستشفيات التونسية و كانت حصيلة هذه الفترة هي كتاب الثورة الجزائرية في عامها الخامس و معظمه مقالات من أجل افريقيا ... »¹⁵.

و على ما يبدو أن كتابات الرجل التي سلط عليها الضوء كثيرا أو لنقل بعضها التي كتبت في مرحلة الثورة الجزائرية أو مرحلة ما بعد القناعة النهائية لفانون كما أشرنا سالفا فإن معظم التفسيرات و الدراسات التي حاولت حصر فانون في زاوية العنف أو أسلوب العنف دائما ما تغفل دور الثورة الجزائرية و التي تبنت هذا الأسلوب كخيار بعد استنفاد الحركة الوطنية الجزائرية لكل الأساليب ، و الملاحظ أن انغماسهم في التركيز على هذا الجانب من زاوية واحدة متناسين عن قصد أو عن غير قصد ردة فعل الاحتلال الفرنسي حتى قبل اندلاع الثورة الجزائرية بسنوات إذ لا بد أن لا نغفل أن من بدأ بهذا الأسلوب هو الاحتلال الفرنسية الذي رد ردا عنيفا على الجزائريين في الثامن من ماي 1945م و الذي غير من قناعة الجزائريين و قرروا فيما بعد تبني أسلوب العنف لاسترجاع سيادتهم هذا من جهة.

و من جهة أخرى نستنتج أن فانون و بعد التراكمية التي مر بها رأى في الثورة الجزائرية الحراك المناسب ضد تصرفات قوى الاستعمار فالتحق بها و عمل جاهدا و أضافت إليه العديد من القناعات و جذرتها ، و عملت على تجسيدها منها البعد

الافريقي ، و تضامن و تضافر جهود حركات التحرر لأنه أدرك أن هناك تحالف بين قوى الاحتلال رغم مظاهر اختلاف المصالح.

و تركيز بعض الدراسات على هذا الجانب - أسلوب العنف - في فكر فانون تركيز فكري مجرد من الظروف الدولية و الانسانية و تراكمات المفكر غير صائب في الحكم الذي أطلق الرجل في عدة جوانب لأن فانون لما لاحظ حالات المرضى الجزائريين بعد التحاقه بمستشفى البليدة أدرك أشياء أخرى هي دراسات ثمينة في الجانب الفكري و لكنها قد تغرق في التفسير الفكري المجرد دون أن تربطه بتصرفات الواقع و هو ما أدركه فانون ففارق فيها عالم الأفكار المجردة لوحدها و المكوث فيه¹⁶، فقد قال «...في استقالته السالفة الذكر على أن المعالجة النفسانية علم طبي مهمته الحيلولة دون أن يحس الانسان انه غريب عن محيطه و لكن السياسة الفرنسية تتعمد أن يحس كل عربي جزائري بأنه غريب عن بلاده نفسها و انه فاقد كل مقومات الشخصية .انه في الواقع ضحية لمحاولة فاشلة لشل تفكير شعب بكامله...»¹⁷.

و قد كان البعد الافريقي أحد أهم أبعاد الثورة الجزائرية¹⁸ و الذي كان من أبرز الأبعاد التي عمل عليها فانون و لكن ظروف الثورة الجزائرية و وضعيتها في المرحلة الأولى الممتدة ما بين سنتي 1954م 1956م لم تسمح بتفعيل هذا البعد إلا في جزئه المغربي ، و لكن بعد سنة 1956م و ذياح صيت الثورة الجزائرية و تنظيم صفوفها و هياكلها أكثر و تدعيمها لأخرى ، يضاف إليها أسلوب و سياسة الجمهورية الفرنسية الخامسة بزعامة دوغول و التي عولت على قلب المعادلة مغاربيا و افريقيا على الجزائر ، و هو ما لم ينجح دوغول في تجسيده «... و لعل اكتشاف الثورة الجزائرية للبعد الافريقي و انفتاح الآفاق الافريقية أمامها جعلها لبعض الوقت و تحت ضغط الظروف و بفعل تناقضات لا تملك أن تحلها بمفردها تفكر في القفز من وراء حدود المغرب العربي إلى افريقيا و المشرق العربي»¹⁹، إن كلامه هذا يدل على أهمية المجال الافريقي بالنسبة للثورة الجزائرية و هو ما أدركه فانون و عبر عنه في أكثر من موضع بجريدة المجاهد و في أكثر من موضع في مؤلفاته ،

على سبيل المثال لا الحصر مقاله الذي حمل عنوان " افريقيا السوداء أمام الاستعمار الفرنسي " و الذي أبرز فيه عمق العلاقات التاريخية الطبيعية بين الجزائر و جاراتها بلدان افريقيا جنوب الصحراء²⁰.

و قد تلاقت أمنية و رغبة فانون و أحد أبعاد الثورة الجزائرية فما كان يصبوا إليه و جعله يواصل الجهود التي كانت لها ثمارها، إذ عينته الثورة سفيرا متقلا و ممثلا لها في عدد من الدول الافريقية و كانت فرصته الأولى حين تم تعيينه في الوفد المشارك في مؤتمر آكرا سنة 1958م أين تمكن من التعرف على عدد من الزعماء الأفارقة ككنروما و لوممبا و مومبيه و بروبير توهلدن²¹ و يقول فانون عن هذه المشاركة الأولى :«... استقبل الوفد الجزائري الذي يتركب من خمسة أعضاء استقبالا حماسيا في أكرا و قد لاحظنا في أكرا أن الأوجه الكبيرة للثورة الجزائرية بن بلة و بن المهدي و جميلة بوحيرد دخلت الملحمة الافريقية ... و قد خصصت مكانة ممتازة لأعضاء وفدنا إذ عين أحدنا في اللجنة الادارية للمؤتمر و انتخب الآخرون كل لرئاسة أو نيابة عدة لجان»²² .

و كانت هذه الفرص بمثابة الاحتكاك الأول و الحقيقي بين فانون و الكتلة الافريقية جعلت الرجل يتعرف على حجم و صيت الثورة الجزائرية داخل هذه الكتلة بالرغم من وضعية الاحتلال الفرنسي في افريقيا ، و مكنته من التعرف على الشخصيات الذي نكرناها أنفا و يحتك بها و يتبادل الآراء معها وهو ما سمح له نسج علاقات معها و مع أخرى في الفضاء الافريقي الذي كان فانون يرغب دائما في العمل فيه و تحريكه ، و منحته فرصة التحرك ضد الاحتلال في افريقيا و الوقوف على المزيد من حقائق الميدان ، و مكنته جولاته في افريقيا كذلك من نشر افكاره و خاصة بعد مشاركته في مؤتمر الشعوب الافريقية سنة 1960م متحدئا بإسم الدبلوماسية الجزائرية و واصل الرجل عمله الحثيث في هذا المجال إلى آخر حياته²³ و قد كانت هذه الرؤى و هذه الرغبات و الجهود التي يقوم بها فانون تتفق و أهداف انشاء المنطقة الجنوبية الصحراوية و هو تحريك الجبهة الافريقية لصالح الثورة الجزائرية و تفعيل البعد الافريقي ، و عن دور فانون في تجسيد هذا المشروع

و الذي سمعنا الكثيرين يتحدثون عن دور بومدين و يقزمون دور فانون و الذي توجد حوله العديد من الأدلة و خلف حتى المكتوب منها²⁴ و هو أمر سنعود إليه بعد التعرف على الشخصية الثانية التي ينسب إليها المشروع و هي شخصية هواري بومدين .

3- شخصية هواري بومدين من النشأة إلى النضال في الثورة الجزائرية:

إسمه الحقيقي محمد بوخروبة و اتخذ من اسم هواري بومدين إسمًا ثوريا فاشائع في الثورة الجزائرية كان اتخاذ إسم ثوري و اختار هذا الاسم نسبة إلى علمين كبيرين من أعلام الصوفية في الغرب الجزائري حتى ينسجم مع الغرب الجزائري و هو الذي نشأ و ترعرع في الشرق الجزائري²⁵ ، و فعل ذلك لما انضم للثورة عام 1955م قادما إليها من القاهرة التي رحل إليها عام 1950م فارا من التجنيد و أداء الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي ، و يعد بومدين من أهم و أكثر الشخصيات التي كتب عنها بإختلاف كبير و لأن الرجل كان له إسهام في تاريخ الجزائر و العالم العربي و حتى افريقيا²⁶، و القاسم المشترك بينه و بين فانون أنه كذلك قام بعمل كبير مقارنة بعمره الذي عاشه (سنة و أربعون سنة) و ما حملته من مشاريع و أفكار أصابت و فشلت ظهرت خاصة بعد استرجاع الجزائر سيادتها خاصة على المستويين العربي و الافريقي و حتى العالمي ، و قاسم آخر بين الرجلين هو أن بومدين كذلك كان يفكر في البعد الافريقي و يراهن عليه و قد ظهر ذلك في مشاريعه التي و أفكاره التي أعادت للجزائر مكانتها في افريقيا .

و كانت له مجهودات كبيرة و لمع و بان نجمه فقد اختلفت الكتابات حوله إلى درجة جعلت البعض يصفه بالرجل اللغز²⁷ و لربما مرد ذلك إلى طبيعة بومدين الصامتة²⁸ و يذكر بعض الباحثين أن الاختلاف حاصل حتى حول تاريخ ميلاد بومدين²⁹ ، إلا أن العديد من المصادر و المراجع تذكر تاريخ 23 أوت 1932م في قرية بني عدي ضواحي مدينة قالمة في أسرة جزائرية محافظة امتهنت الفلاحة و كانت ظروفها الاقتصادية صعبة صعوبة الظروف في تلك الفترة كالعديد من الأسر الجزائرية³⁰، إلا أن والده حرص على تعليم ابنه حيث تمكن من حفظ القرآن و درسه

لمدة من الزمن في مسقط رأسه كما أن بومدين التحق بالمدرسة الفرنسية ثم انتقل إلى المدرسة الكتانية و بعد مدة قرر رفقة رفيقه شيروف محمد الصالح الفرار من الالتحاق بالخدمة العسكرية الفرنسية و تحقيق حلم الدراسة بالأزهر .

و قد كانت رحلة طويلة من الجزائر إلى القاهرة مشيا على الأقدام و تدل على إصرار و قوة داخلية لدى الرجل الذي إلتحق بالقاهرة و إضافة إلى مزاولته الدراسة كان ينشط في مكتب المغرب العربي³¹، و كان للحياة الدراسية التي قضاها في قسنطينة دور في تحريك و تراكم ملاحظات بومدين الذي كان عالي الذكاء و شغوفا بالقراءة دور في تكوين تراكمات و ملاحظات لبومدين على مجموعة من التناقضات التي كانت ماثلة أمامه فعلى سبيل المثال لا الحصر التمييز في منح منح لمواصلة الدراسة في القاهرة من قبل الفرنسيين لأبناء أعوانهم فقط من أبناء الباشاغوات و القيادة من دون معايير غير أن هؤلاء موالون و متعاونون مع إدارة الاحتلال و حرمان البقية من هذا ، كما اكتشف محدودية و ضعف البرامج الدراسية في المدرسة الكتانية و عوامل أخرى ضاعفت من رغبة الرحيل إلى القاهرة لدى بومدين و هو ما تم بعد رحلة شاقة و طويلة³².

و تغيرت قناعة الرجل مرة أخرى بعدما ازدادت إلى التراكمات السابقة ما شهده الرجل خلال رحلته و خلال إقامته بالقاهرة أصبح يفكر في تحرير الجزائر و مع اندلاع الثورة كان بومدين طالبا في القاهرة و تحذوه رغبة كبيرة في المشاركة فيها و جاءت الفرصة حيث وقع عليه الاختيار رفقة مجموعة من الطلبة لتجميعهم في معسكر الحرس الوطني المصري بكوبري القبة لتدريبهم على تقنيات حرب العصابات لمدة ثلاثة أشهر ، خرج فيها بومدين من أوائل الدفعة و التي نال بموجبها وساما سلمه له محمد نقيب زعيم الثورة المصرية ، و بتاريخ 20 جانفي 1955م أقيم اجتماع مهم في بيت فتحي الديب و حضره بومدين و بن بلة و بوضياف و حسين خيري و عبد الكبير الفاسي و ريان سفينة دنيا التي ستقل شحنة من السلاح إلى السواحل المغربية اليوغسلافي الأصل ميلان باتيش ، و قد درس الاجتماع خطة نقل شحنة السلاح في سرية تامة³³.

ركب بومدين رفقة آخرين للتوجه مع شحنة السلاح إلى جبهات القتال في الغرب الجزائري بغية تكليفهم ببعض المسؤوليات و المهام في هذه الجهة و وصل يوم 27 مارس 1955م³⁴ ، و من هذا التاريخ لن يقف شيء في وجه صعود بومدين فقد عين مباشرة بعد العملية نائبا للعربي بن مهدي قائد الولاية الخامسة ، و بعد استشهاد هذا الأخير أبح قائدا لها ، ثم قائدا لأركان لأركان الغرب عام 1958م ثم قائدا لهيئة الأركان العامة التي أصبحت بفضل قوة شخصيته و قرته في التنظيم و فرض الطاعة³⁵ ، و ستصبح هيئة الأركان تحت قيادته رقما صعبا في معادلة الثورة ، و بات بومدين ذو نفوذ كبير و الأدلة على ذلك كثيرة منها إستقالته من هيئة الأركان التي تحولت إلى استقالة جماعية و التي أدت إلى رفض عارم لهذه الاستقالة و رفض الجنود استبدال قيادتهم ما جعل قادة الثورة المهيمنين أمثال بوصوف و بلقاسم و بن طوبال يدركون قوة و شعبية بومدين داخل صفوف جيش التحرير .

4- فكرة مشروع المنطقة الجنوبية الصحراوية بين بومدين و فانون:

من خلال ما ذكر أعلاه يتضح أن الرجلين ذو كفاءة عالية تمكنت الثورة الجزائرية من الاستفادة منها منذ انضمامهما إليها و يشتركان في عدد من الأفكار و خاصة البعد الأفريقي و بالعودة إلى الفكرة التي تم تداولها كثيرا من قبل العديد من الباحثين في عدد من المناسبات العلمية و التي لم تحمل إجابة واضحة أو حاولت المفاضلة و هو ما لا نحبذ و لا نتبناه منها كما سبق الذكر .

فمن غير المبرر رفض بعض الباحثين أن تكون الفكرة بمبادرة من فانون و من دون نفي واضح لأن تكون الفكرة له كذلك³⁶ ، بالرغم من أن المصادر توجد أثارا لمجهودات فانون³⁷ حيث ورد في كتاب من أجل افريقيا مايلي: «... في مارس 1960 عين فانون ممثلا للجزائر في أكرا و خلال إقامته هناك لاحظ وجود امكانية أخرى لتدعيم الداخل عن طريق حدود الجنوب ، أي عن طريق حدود مالي ، و لذلك اتصل بالمسؤولين في مالي و قدم اقتراحاته بشأن هذا الموضوع الى المسيرين الجزائريين الذين قرروا انشاء قاعدة ثالثة جنوب الصحراء توجه منها الأسلحة نحو الولايتين الأولى و الخامسة و قد كتب فانون المذكرات التالية خلال الوقت الذي تم

فيه التمهيد لإنشاء هذه القاعدة خلال صيف 1960...»³⁸ ، إن هذا الكلام واضح الدلالة فالمتتبع لمسيرة و فكر فانون يجد أن الرجل كان يحلم بالفرص التي منحها له الثورة الجزائرية ، و راح يتحرك عمليا لجعل الثورة الجزائرية ثورة تقود الأفارقة نحو التخلص من قيود الاحتلال و التبعية للقوى الاستعمارية .

و حتى بعثة اللاسلكي التي اتجهت في نفس المهمة من تونس وجدت في استقبالها فانون في غانا و هو الذي كان يجري المحادثات مع المسؤولين كلما اعترضت عقبة من العقبات المجموعة في طريقها إلى مالي³⁹ و ليس من المستبعد أن تكون الفكرة فكرة فانون و تم تبنيها فتذكر بعض المصادر أن بومدين و رفقاءه كانوا معجبين كثيرا بأفكار فانون و ينصتون إلى محاضراته و أفكاره⁴⁰ إذن فلا مبرر لإبعاد الفكرة عن فانون .

و حتى و ان قبلنا بمبدأ الإيعاز لفانون بالشروع في اتصالات بغية انشاء المشروع⁴¹ و الذي يشير إليه البعض بطريقة غير مباشرة فإن فانون لم يكن في موقع القرار حتى يبحث له عن عذر أو يتم وضع المسألة في هذا السياق الذي وضعت فيه على محك ليس بموضعه ، فمن جهة يلاحظ أن هناك نقصا و عدم فهم عميقو زاوية تفسير معينة هي التي شوشت على بعض الباحثين لأنهم ظلوا ينظرون إلى فانون نظرة الوافد لا المناضل في الثورة ، فلولا قدرته على إتمام هذا النوع من العمل الذي يتطلب سلسلة من العلاقات و فهما دقيقا للوضعية السياسية و العسكرية و العلاقات الدبلوماسية لما عينته الثورة الجزائرية على رأس دبلوماسيتها في افريقيا ، و خاصة غانا التي كانت من أهم الدول في الظروف الصعبة التي كانت تمر بها القارة الافريقية ، و هنا نعود للمشكلة التي تطرقنا إليها سابقا و هي أن القادة الذين يعرفون كل الأمور المتعلقة بهذا الأمر حتى السرية منها من باب موقعهم في مسؤولياتهم اتجاه الثورة و حتى اتجاه المشروع الذي نتحدث عنه من وزن بومدين و بوصوف و بوتفليقة و مساعدية و دراية و غيرهم و الذين لم يكتبوا مذكراتهم التي كانت سنثري الموضوع و الكتابات حوله ، و ما هو مكتوب إلى حد الآن يؤكد أن فانون له نسبة كبيرة في المشروع بل و أفكار تجسيده على أرض الواقع مدونة⁴².

و من جهة أخرى يتم نسب الاتصالات إلى الحكومة المؤقتة و إلى ممثلها في غانا فرانتر فانون ثم إلى هيئة الأركان⁴³ ، و لربما كان دليل البعض هو الهيئة التي ستؤطر هذا المشروع و قريبا من قائد الأركان هواري بومدين ، لكن لا يمكن اعتبار هذا الأمر دليلا لأن بومدين كان شابا و معروف عنه تقرب مجموعة من الشباب إليه و طريقة تسييره و حله لبعض المشكلات التي واجهت الثورة بطريقة مختلفة هي التي جعلته يكسب طاعة و ثقة مجندي جيش التحرير⁴⁴ و هو أمر سنعود إليه لاحقا عند الحديث عن قيادة المشروع الذي كلفوا به ميدانيا ، و منه فإن العديد من المشاريع و الأفكار الناجحة في الثورة لا يمكن أن ننسبها إلى شخص معين بذاته لأن ميزة الثورة عدم وجود زعيم و تبنيتها لمبدأ القيادة الجماعية و بعيدا عن النظر من جهة واحدة فإن لهذا المبدأ سلبياته و إيجابياته ، فمن إيجابياته على سبيل المثال لا الحصر عدم توقف الأمور على شخص واحد و كذلك المبادرات فلا يجب إغفال هذا الأمر.

و قد قيل أن الأمر تم طرحه في اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد في طرابلس الغرب من 16 ديسمبر 1959م إلى 18 جانفي 1960م⁴⁵ فإن هذا الاجتماع و الذي كان واحدا من أصعب الاجتماعات و الذي تمت فيه مناقشة العديد من القضايا منها اختناق الداخل جراء عدم وصول المدد من الخارج و عدم قيام المسؤولين عن ذلك بواجبهم ، مع طرح فكرة تقوية جيش الحدود مع الأعداد و ذكرت الجبهة الجنوبية في الوثائق و مستخرجات و بيانات الاجتماعات الرسمية و طرحت العديد من القضايا العسكرية المؤثرة على مسار الثورة و التي وجه معظمها انتقادات للحكومة المؤقتة⁴⁶ ، ثم ان العمل بمبدأ التشخيص يجعلنا نتسأل ماذا يمكن أن يقال عن التقرير الذي قدمه القائد قاسي عضو مجلس الولاية الثالثة و عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية و الذي قدمه في 17 مارس 1961م و الذي قيل عنه أنه في غاية الأهمية⁴⁷ فالأمر غير ممكن و طريقة التعامل مع هذا الموضوع بهذه الطريقة فقد عرض التقرير خطة عمل و في المجال العسكري خاصة حيث يرى كذلك أن سبب الأزمة عدم وصول الدعم الخارجي و كان يرى أنه من الضروري

تدعيم القوى الموجودة على الحدود لتخليص الداخل من الخناق الذي يفرضه الاحتلال الفرنسي و أبدى رأياً واضح و صريح حول انشاء الجبهة على طول الحدود الجنوبية للجزائر مع مالي و موريتانيا مكونة من خمس و عشرين محارب⁴⁸ و الأمر طرح لأول مرة و بالجديّة و النقاش الكافي في اجتماع العقداء الذي اقترح فيه فتح الجبهة الجنوبية كواحد من الحلول العسكرية التي تم التوصل إليها بعد طول نقاش و تدارس⁴⁹.

و بالتالي فإن نظرية نسب أو نفي جهود البعض و محاولة تورية جهود البعض الآخر من المناهج غير السليمة في معالجة مثل هذه القضايا و من الأساليب التي أضرت بالكتابة بتاريخ الثورة و التي نحاول أن نتجاوزها خاصة و أن مقدم التقرير أكد على أن التطبيق يجب أن يستخدم فيه كافة الإطارات الممكنة فقد كان يرى أنه يوجد العديد ممن يحملون رتبة عقيد و رائد لا عمل لهم بإمكانهم المساهمة فيه⁵⁰.

ثم إن هيئة الأركان التي استقرت بغار الدماء بقيادة هواري بومدين كان من الطبيعي أن تضطلع بكافة المهام و الشؤون العسكرية و التي تدخل في صلاحياتها ، و ان عدنا إلى مؤتمر المجلس الوطني للثورة الجزائرية المذكور آنفا فإن النقاش الذي دار كان في معظمه على الشؤون العسكرية و ضرورة إيجاد السبل الكفيلة بمواصلة الكفاح ضد قوات الاحتلال الفرنسي التي وظفت كل الإمكانيات المتاحة للقضاء على الثورة مع التنوع في نفس التوقيت فإن الأمر العسكري ستطبقه طبعاً أو تسعى لإيجاد الاستراتيجية المناسبة له هيئة الأركان ، و منه فإن المشروع قام بالخطوات السياسية المتعلقة بالاتصال و تهيئة الظروف الحكومة المؤقتة عن طريق قانون و أرسل المكلفون بالشؤون العسكرية بأمر من بومدين و بوصف مجموعة من الضباط و المكلفين بوضع قواعد لأجهزة الاتصال و اللاسلكي يعني تضافر الجهود بين الجميع و لا يضر الموضوع شيئاً إن كان قانون هو من وضع فكرته لأن الظرف كان يتطلب قراءة دقيقة على المستوى الأفريقي في ظل تركيز الاحتلال الفرنسي على الجنوب الجزائري بسبب اكتشافها للثروات الباطنية و خاصة المحروقات.

خاتمة:

من خلال ما تمت مناقشته في هذه الصفحات المعدادات و التي لا تسمح بالإحاطة بالموضوع بكامل جوانبه إلا أنني حاولت مناقشة إحدى جزئيات الموضوع التي يحاول البعض عدم مناقشتها أو المرور عليها مرور الكرام أو تبني رأي معين دون تبصر في الأدلة و الوثائق فليس من الصواب أن نتبنى رأياً على أساس غير متين و لا واضح ، فإن الإجابة عن السؤال الذي انطلقنا منه في البداية اتضحت معالمه إذ لا يمكننا اتخاذ مبدأ المفاضلة بين إطارات و مناظلي الثورة الجزائرية لأنه و إن كانت لـ "قانون" اليد الطولى في الفكرة و هو المفكر الذي آمن و حلم كثيرا بالعمل على توحيد القوى في إفريقيا لا تضرها في شيء كما يحاول البعض صياغته بطريقة غير مباشرة من غير أن يصرحوا بذلك فلا يمكن تجاهل مجهوداته في سبيل تجسيده على الميدان ، و لا يضر الفكرة شيئاً إن تكفل "بومدين" و استأثر بإرسال مبعوثين و مكلفين من العسكريين للقيام بالمهام العسكرية و تأطيرها و إعداد أرضية ذلك و لتحضير لها و إن كانوا يتخذون من سرية الموضوع و استئثار بومدين ومجموعته حجة لذلك فإن كل هذا طبيعي إذا ما استندنا إلى معطين الأول هو أن هذا من صلاحيات هيئة الأركان التي كان بومدين على رأسها و ثانيها لا مركزية القرار الذي كان منهجا للثورة الجزائرية يضاف إليه أن الفكرة طرحت للنقاش في المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، و لا يضره إضطلاع "بوصوف" بإرسال مجموعة الإرسال اللاسلكي ، و تظافر كل هذه الجهود هو الأولى بالانتباه خاصة و أن الموضوع كان يتطلب نوعاً من الحذر و السرية في ظل الوضعية الهشة لعدد من الدول التي تبني عليها استراتيجية المنطقة الجنوبية الصحراوية و كلهم ما تركوا لنا أثراً مكتوباً عن "بومدين" و "بوصوف" أتحدث و أستثني من ذلك "قانون" الذي كتب عنه و كيف هي خطته.

الهوامش و الاحالات :

- 1- شهادة أحمد بن سبباق، عضو اللجنة المرافقة للبعثة الاستطلاعية لفتح الجبهة الجنوبية
- 2- محمد مبارك كديده، "دور فرانتز فانون في انشاء الجبهة الجنوبية - المنطقة الجنوبية الصحراوية في الثورة الجزائرية 1960-1962"، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، العدد 27 ، ديسمبر 2016، ص666
- 3- نفسه ، ص 666.
- 4- نفسه ، ص 662.
- 5- الابراهيمى محمد البشير، في قلب المعركة ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 ، ص 09.
- 6- عبد القادر بن اعراب، فرانتز فانون رجل القطيعة ، ترجمة عبد السلام يخلف ، دار بهاء الدين ، الجزائر ، 2013 .
- 7- الميلى محمد، فرانتز فانون و الثورة الجزائرية ، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1973، ص 25
- 8- كديده ، المرجع السابق ، ص662
- 9- الميلى ، المصدر السابق ، ص23.
- 10- نفسه، ص23-24.
- 11- نفسه ، ص 167.
- 12- كديده ، المرجع السابق ، ص 663.
- 13- الميلى ، المصدر السابق ، ص198.
- 14- على سبيل المثال لا الحصر : محمود عثمان، مفهوم العنف في فكر فرانتز فانون و علاقته بالثورة الجزائرية ، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة ، جامعة الجزائر ، 1987 و انظر كذلك : دافيد كوت، فرانتز فانون ، ترجمة عدنان كيالي، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، 1971، ص 49، ص 66 .

- 15- الميلّي ، المصدر السابق ، ص 25-26.
- 16- كديدة ، المرجع السابق ، ص 665.
- 17- كوت ، المصدر السابق ، ص 61-62
- 18- بيان أول نوفمبر 1945م
- 19- محمد الميلّي ، مواقف جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 ، ص 188-189.
- 20- جريدة المجاهد، العدد 18، المؤرخ في 15/02/1958.
- 21- الميلّي ، المصدر السابق ، ص 28.
- 22- فانون فرانز ،من أجل إفريقيا، ترجمة مخمد الميلّي، ط2، الشركة الوطنية للنشر و الإشتهار و التوزيع ، الجزائر ، 1980، ص 154 ،أو أنظر : جريدة المجاهد ، العدد 34، المؤرخ في 24/12/1958
- 23- الميلّي، المصدر السابق، ص 28-29 ، كوت ، المصدر السابق ، ص 45.
- 24- كديده المرجع السابق ، ص 662.
- 25- محمد الصالح شيروف، هواري بومدين رحلة أمل و اغتيال حلم ، دار الهدى، الجزائر ، د.ت، ص 5-6
- 26- محي الدين عميمور ، أيام مع الرئيس هواري بومدين و ذكريات أخرى ، ط1 ، مؤسسة الأهرامات ، القاهرة ، 1998، ص 7
- 27- رشيد مصالي، هواري بومدين الرجل اللغز ، تر. فاطمة الزهراء قشي و محمد الأخضر الصبيحي ، دار الهدى، د.ت ، الجزائر
- 28- سعد بن بشير لعامرة ، هواري بومدين الرئيس القائد 1932-1978، ط1 ، قصر الكتاب، الجزائر، 1997 ، 199 ، ص 15
- 29- صبرينة بودريوع ، الحياة الاجتماعية في ظل النظام الاشتراكي بالجزائر المرحلة البومدينية نموذجا (1965-1978) ، مذكرة ماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010، ص 29.

- 30- محمد العيد مطمر، هواري بومدين رجل القيادة الجماعية ، دار الهدى ، الجزائر، 2000، ص14
- 31- شيروف ، المصدر السابق ، ص12-16.
- 32- بودريوع ، المرجع السابق ، ص 32-34.
- 33- لعمامرة ، المرجع السابق ، ص 19-22.
- 34- نفسه ، ص 23.
- 35- الزعيم الجزائري هواري بومدين ، مجلة افريقيا قارتنا ، ع3 ، 2013، ص2.
- 36- مقالاتي ، الجبهة الجنوبية ، المرجع السابق ، ص33-34.
- 37- فرانتز فانون ، من أجل افريقيا ، ص 183-198
- 38- فرانتز فانون ، من أجل افريقيا ، ص 183-198
- 39- نفسه ، ص 183-198
- 40- الرائد عز الدين، المصدر السابق، ص 200. وانظر: عبد الرزاق بوحارة، منابع التحرير، تر.صالح عبد النوري، دار القصبه، الجزائر، ص200
- 41- عبد الله مقالاتي، الثورة الجزائرية وافريقيا، وزارة الثقافة، الجزائر، د.ت، ص65.
- 42- فرانتز فانون ، من أجل افريقيا ، ص 183-198
- 43- مقالاتي ، الجبهة الجنوبية ، المرجع السابق ، ص33-35.
- 44- لعمامرة ، المرجع السابق ، ص 30-31.
- 45- مقالاتي عبد الله ، الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية و دورها الاستراتيجي إبان الثورة التحريرية، وزارة الثقافة ، دار بوسعادة، الجزائر، د.ت، ص34
- 46- الشيخ خير الدين، مذكرات ، م.و.ك ، الجزائر، د.ت ، ج2 ، ص216
- 47- نفسه ، ص216.
- 48- نفسه ، ص216.
- 49- كافي ، المصدر السابق ، ص 214-226.
- 50- خير الدين ، المصدر السابق ، ص216